الفصل الخامس

قاعدة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر ودورها في تعميق مفاهيم الانتماء إلى المجتمع والأمّة

شفاء علي الفقيه[1]

مقدمة

أثبت الله عز وجل في كتابه العزيز خيريَّة هذه الأمة، التي حملت همّ الرسالة والدعوة إلى الله تعالى، وإلى دين الإسلام والحرص على منفعة النّاس، وربط هذه الخيريَّة باتصافها بواجب هو من أعظم واجبات الدّين وقواعده، وهو واجب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وقد بلغت شدّة أهميته أن قدّم في الذكر على الإيمان بالله تعالى، في وصف الأمة المسلمة، على اعتبار أنّ تحقيقه دليل على الإيمان. فقال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران: 110]

ويعدُّ واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قاعدةً مهمة من القواعد الاجتماعية التي أسسها الإسلام، ومبدأً أساسياً في تعزيز مفهوم المسؤولية الفردية والاجتماعية، وتنمية شعور الفرد بالغيرة على مجتمعه، والرغبة في الارتقاء به نحو الأفضل، سواء أكان من ناحية السلوك والأخلاق، أم من ناحية التقدم والتطور في شتى مجالات الحياة. إن وجود نواة من الغيورين على الأمة ممّن يحملون همّ مجتمعاتهم، ويعايشون مشكلاتها، ويسعون لتطويرها نحو الأفضل

(1) دكتوراه في الحديث الشريف، أستاذ مساعد في قسم الدراسات الإسلامية، جامعة الحدود الشمالية، المملكة العربية السعودية. بريد الكتروني shifa_hala@hotmail.com

يعود بالخير على الأمة كلها، ويصبح كل فرد فيها يعتز بانتسابه إلى خير أمة أخرجت للناس. وهؤلاء الغيورون يخرجون من أنانيتهم واهتمامهم بذواتهم إلى دائرة الاهتمام بالأسرة والحي والمجتمع والأمّة.

ولمّا كان الواقع الحالي يعكس صورة مؤلمة لغياب هذه القاعدة المهمة من حياة الأفراد بالصورة التي أرادها الفكر الإسلامي، كان من الضروري أن يطرح هذا الموضوع للتأمل والدِّراسة لتوجيه الأفراد نحو ضرورة فهم فلسفة هذا الواجب، وأبعاده النفسية والاجتماعية على الفرد والأمّة، ومن ثمّ كيفية تطبيقه بصورة تساعد على النّهوض بالأمّة وتحمّل الأفراد لمسؤولياتهم نحو أمّتهم ودينهم وأنفسهم.

وليس من شأن البحث أن يسعى في هذا المقام إلى إعادة طرح موضوع الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، من جوانبه النظرية وموقعه في النصوص الشرعية، فكثير من الكتب والمراجع قد أنجزت معالجات عميقة وقيّمة في هذا الشأن، وإنّما يهدف البحث إلى توضيح العلاقة بين الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، ومفهوم الانتماء إلى الأمّة والجماعة. وبهذا فإن موضوع الدّراسة يرتبط بالمحور الأول من محاور مؤتمر فقه الانتماء إلى المجتمع والأمة، من خلال معالجته لأهمية قيام الفرد بهذا الواجب، وأثر ذلك في تعميق مفاهيم الانتماء إلى المجتمع والأمة وتعزيزها.

وسوف يسعى البحث إلى تحقيق هذا الهدف عن طريق الإجابة عن أربعة أسئلة محددة هي:

- ما النموذج الذي خطّه الإسلام للأمر المعروف والنّهي عن المنكر؟
- ما أهمية الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر للأمة والجماعة؟
- ما المعيقات التي تحول دون تطبيق الأفراد لهذه القاعدة الاجتماعية؟
- ما أثر تطبيق الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر على المجتمع والأمة؟

أولاً: النموذج النبوي في تطبيق الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر

عندما بعث نبينا ﷺ برسالة الإسلام للناس كافة، قام بواجب الأمر بالمعروف بنفسه وكلَّف أصحابه بالقيام به. فأول ما بدأ به النّبي صلّى الله عليه وسلّم هو تعليم النّاس الخير، والسبيل إليه، والشر والسبيل إلى الاعتصام منه. وقد خطّ النّبي صلّى الله عليه وسلم مواقف إنسانية عظيمة وضحت المنهج الحق في تطبيق هذه القاعدة العظيمة، التي هي أصل من أصول الدّين، وما ذلك إلا مصداقاً لما وصفه به الله عز وجلّ في كتابه العزيز: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف:157].

فالآيات الكريمة تؤكد إخبار بني إسرائيل على أيدي أنبيائهم بالخبر اليقيني عن النّبي الأمي محمد ﷺ، فتُبَيِّن حقيقة بعثه وصفاته، ومنهج رسالته، وخصائص ملته، وتبيّن أول ما تبين سمة مميزة عرف بها بين الأمم فهو نبي أمي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وهذا دليل هام على أهمية هذه الصفة، لنبي الرحمة ولأتباعه من بعده، ولا شك فإنّ هذه الصفة التي عرف بها، هي ذاتها التي ينبغي أن تعرف بها أمته وجماعته.

والشريعة الإسلامية لم تترك تطبيق هذه القاعدة تبعاً لأهواء النّاس وأمزجتهم، وإنما وضعت لها ضوابط تضبط كيفية التطبيق من حيث الزمان والمكان، وتشترط شروطاً تحدد المعروف وشروطاً تحدد المنكر، وضوابط وقواعد تحكم طريقة القيام بفريضة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر؛ منها: "الشريعة الإسلامية هي الأصل في تقرير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ثانيًا: العلم بحقيقة ما يُؤمر به وحقيقة ما يُنهى عنه. ثالثًا: درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة في الشريعة الإسلامية. رابعًا: البدء بالأهم فالمهم، وتقديم الكليات على الجزئيات. خامسًا: عدم التجسس على الناس واقتحام دورهم بالظنون. سادساً: الالتزام بكيفية أداء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأساليبها. سابعًا: فهم

الدرجات التنفيذية التي حددها العلماء لتغيير المنكر وإزالته..."[1]

وظهر التطبيق النّبوي لهذه القاعدة بصورة واضحة الملامح؛ فقد كان النّبي ﷺ رؤوفاً رحيماً بأمته، يشفق على الطائع والعاصي، وهو القائل: "إنّما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم..."[2] وهذا القول منه صلّى الله عليه وسلم، فيه توجيه للأفراد كي يقتدوا به، والحديث هنا مهم للغاية، وبخاصّة في ضوء وجود النّقيض من تلك النّماذج التي تسيء تطبيق هذا الواجب، بإظهار روح العداء والكراهية لمن يخالفها في اجتهاد، كما هو الحال بين كثير من الجماعات التي تتغلب الذاتية عليها، فتراها تحكم إمّا بالفسق أو بالخروج من الملّة، لمن يخالف اجتهادها وآراءها، أو يرتكب معصية من المعاصي أو يسيء التصرف.

والنّماذج النبوية التي خطّها النّبي ﷺ معلماً بها أصحابه والمسلمين كثيرة، وهذا ما أثبتته السنّة النّبوية المطهرة والسيرة النّبوية؛ من خلال ما عرضته من مواقف وصفات سلوكية كان يتحلى بها ويتعامل بها مع من حوله؛ فعن أَنَس ابْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "لَمْ يَكُنْ النَّبِيُّ ﷺ سَبَّابًا وَلَا فَحَّاشًا، وَلَا لَعَّانًا،كَانَ يَقُولُ لِأَحَدِنَا عِنْدَ الْمَعْتَبَةِ مَا لَهُ تَرِبَ جَبِينُهُ."[3] فالنبي ﷺ كان حريصاً على إنكار المنكر،

(1) الحقيل، سليمان بن عبد الرحمن. **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ضوء الكتاب والسنة**، الرياض: دار الشبل، ط4، 1996م، ص78.

(2) أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (275هـ). **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: دار الفكر، كتاب الطهارة، باب كراهية استقبال القبلة، ج1، 49، حديث رقم 8.

(3) البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير الناصر، ط1، بيروت: دار طوق النجاة، 1422هـ، كتاب الأدب، باب لم يكن النّبي فاحشاً ولا متفحشاً، رقم الحديث 6031، ج 8، ص 13. وقوله: (ترب جبينه) قال ابن حجر في الفتح:" أي قتل لأن القتيل يقع على وجهه ليترب وظاهره الدعاء عليه بذلك ولا يقصد ذلك وكذا قوله: "تربت يداك" أي افتقرت فامتلأت ترابا، وقيل المراد ضعف عقلك بجهلك بهذا، وقيل افتقرت من العلم، وقيل معناه استغنيت، يقال: هي لغة القبط استعملها العرب. والراجح أنه شيء يدعم به الكلام تارة للتعجب وتارة للزجر أو التهويل أو الإعجاب، وهو كويل أمه ولا أبا لك". انظر كذلك:
- ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي (852هـ). **هدي الساري مقدمة فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، تحقيق: محب الدِّين الخطيب، ط3، القاهرة: دار الرَّيان للتراث، 1409هـ/1988م، ص92.

لكن دون أن يؤدي هذا إلى نفور أصحابه منه، وبخلاف ذلك فحسن أسلوبه كان سبباً في إقبال أصحابه عليه، وهذا ما أكّده قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [آل عمران:159].

وقد كان من سمات منهج النبي ﷺ في تطبيق هذا الواجب تجنّب إحراج من حوله، بالتشهير بهم والتصريح بأسمائهم، فليس الهدف تجريح الأشخاص وتصيّد عثراتهم، وإنّما العمل على كسب قلوبهم وإصلاح سلوكهم، وتفعيل وجودهم في مجتمعاتهم وأمّتهم بما يعود على الأمة بالخير والفائدة، وقد ظهر ذلك في مواقف عدّة أنكر فيها النّبي ﷺ، أفعالاً وتصرفات صدرت من المسلمين في عدة مواقف من مثل استنكاره اشتراط البعض شروطاً في العتق تخالف ما جاء به الإسلام من أحكام، واستنكاره رفع البصر إلى السماء في الصلاة، واستنكاره من يرفض اتباع سنته في الأفعال، أذكر منها: قوله ﷺ:"...فمَا بَالُ أَقْوَام يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ"[1]، وفي موقف آخر قوله: "مَا بَالُ أَقْوَام يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي صَلَاتِهِمْ"[2]، وقوله: "مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنْ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ."[3]

ويظهر من المواقف السابقة لينه ورفقه ﷺ في احتسابه على النّاس، واستخدامه للتعليم والنصح العام وسيلة من وسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كجمعه الناسَ ونصحهم عن منكر وقع فيه بعضهم، تذكيراً وتحذيراً للكل، عما وقعوا فيه، وهذا أسلوب من أساليب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر.

ولم يكتف النّبي ﷺ في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر بالتغيير من خلال اللسان، وإنّما كان تطبيقُ هذه القاعدة بحسب ما يستدعيه كل موقف، فقد ورد عنه

(1) البخاري، **صحيح البخاري**، مرجع سابق، كتاب الصلاة، باب التقاضي، رقم الحديث 456، ج1، ص 92.

(2) المرجع السابق، كتاب الأذان، باب رفع البصر إلى السماء في الصلاة، رقم الحديث 750، ج1، ص150.

(3) المرجع السابق، كتاب الأدب، باب من لم يوجّه النّاس بالعتاب، رقم الحديث6301، ج8، ص26.

صلوات الله عليه وسلامه استخدامه القوة وتغيير المنكر باليد في حال وجود ضرر على الأمة يلحق بأفرادها عند وجود منكر ما. وقد حرص النّبي ﷺ على توجيه الصحابة للقيام بهذا الواجب وتفعيله في حياتهم حماية للدّين ومصالح المسلمين، ومن ذلك ما رواه سهل بن سعد عن أبيه عن جده قال: "بايعت النّبي ﷺ أنا، وأبو ذر، وعبادة بن الصامت، ومحمد بن مسلمة، وأبو سعيد الخدري، وسادس، على ألا تأخذنا في الله لومة لائم، فاستقال السادس فأقاله."[1]

"وقال شعبة عن أبي سلمة: سمعت أبا نضرة يحدّث عن أبي سعيد رفعه: "لا يمنعن أحدكم مخافة النّاس أن يتكلم بالحق إذا رآه أو علمه". قال أبو سعيد: فحملني ذلك على أن ركبت إلى معاوية فملأت أذنيه ثم رجعت."[2]

"وبعد وفاة الرسول ﷺ، قام خلفاؤه وأصحابه بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خير قيام، وامتد اهتمام المسلمين بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قروناً طويلة، وكان من نتائج القيام بهذا الواجب العظيم أن عاش المجتمع الإسلامي في أنظف حياة وأسعدها وآمنها، لا يكاد يقع فيه منكر حتى يتتابع الإنكار له، ويتداعى المسلمون إليه فيقضى عليه في مهده، وبهذا عاش مجتمعاً مهيباً، طاهراً، لا يتوقح فيه أهل الفساد، ولا يتجرأ فيه أهل المعصية، وكانت العزة فيه لله ولرسوله وللمؤمنين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، والحافظين لحدود الله، حتى خلفت بعد ذلك خلوف، جعلوا الدنيا أكبر همهم، ومبلغ علمهم، ونسوا الله فأنساهم أنفسهم، فتقطع بينهم، وانفرط عقدهم، فلم يأمروا بمعروف ولم ينهوا عن منكر، إلا قليل ممن رحم ربك، فكان ذلك سبب ما أصابهم من ذل واستعمار وفقر ودمار، قال الله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [النحل: 33]." [3]

---

(1) ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي (852هـ). **الإصابة في تمييز الصحابة**، ط1، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت: دار الجيل، 1412هـ، ج3، ص78.

(2) المرجع السابق، ج3، ص79.

(3) عبد الستار، عبد العزيز. **الأمر والنهي عن المنكر**، بيروت: المكتب الإسلامي، 1400هـ، ص8.

وبعد عصر الصحابة استمر حرص المسلمين على تفعيل هذه القاعدة من خلال نظام الحسبة الذي أسهم في تفعيل الرقابة على الأفراد والمحافظة على هوية الأمّة. "أما الحسبة فهي وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض على القائم بأمور المسلمين، يعين لذلك من يراه أهلاً له، فيتعين فرضه عليه، ويتخذ الأعوان على ذلك، ويبحث عن المنكرات، ويعزز ويؤدب على قدرها، ويحمل الناس على المصالح العامة."[1]

ثانياً: أهمية الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر للأمّة والجماعة

1 – علاقة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر بمفهوم الأمّة والجماعة

ارتبط الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر بالأمّة الإسلامية ارتباطاً وثيقاً، وظهر هذا من خلال النّصوص القرآنية والأحاديث النّبوية، ومن هذه الآيات الكريمة قوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران:104]، وقوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران:110]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة:71].

ومن السنّة النبوية حديث النّبي ﷺ: "**مَا مِنْ نَبيٍّ بَعَثَهُ اللهُ في أمَّة قَبْلِي إلاَّ كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ** حَوَارِيُّونَ، وَأصْحَابٌ يَأخُذُونَ بِسنَّتِه وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِه، ثُمَّ إنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ، يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لا يُؤْمَرونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِه فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلبِه فَهُوَ مُؤمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلسَانِه فَهُوَ مُؤمِنٌ، وَلَيسَ وَرَاءَ ذلِكَ مِنَ الإيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَل".[2]

---

(1) ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد (808هـ). **المقدمة**، بيروت: دار و مكتبة الهلال، 1986م، ج1، ص117.

(2) مسلم، ابو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري (261هـ). **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص، رقم الحديث 50، ج1، ص69.

فالأمّة مصطلح من المصطلحات التي أخذت بعداً جديداً في الرسالة الإسلامية، مثل مصطلح "الصلاة" و"الزكاة" و"الإيمان" و"الإسلام" و"الكفر" و"النفاق" وهكذا.

والأمّة في معناها اللغوي هي الجماعة من النّاس التي تؤمّ جهة معينة. وأمّا في القرآن فقد دلّت على معانٍ متعددة من أهمها: حامل الرسالة، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل: 120]. وكما في قصة زيد بن نفيل عندما قال فيه النّبي ﷺ: "يبعث أمة وحده"، لأنه لم يشرك في دينه غيره، والله أعلم."[1]

وفي حديث فروة بن نوفل الأشجعي قال: قال ابن مسعود: إنّ معاذاً كان أُمَّةً قانتاً لله حنيفاً، فقلت في نفسي: غلط أبو عبد الرحمن، إنما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل: 021] فقال: تدري ما الأمَّة، وما القانت؟ قلت: الله أعلم، قال: الأمَّة: الذي يعلّم الخير، والقانت: المطيع لله ولرسوله، وكذلك كان مُعاذ بن جبل يعلّم الخير، وكان مطيعًا لله ولرسوله.[2]

ويقول الكيلاني: "و(الرسالة) هنا هي مثل أعلى يقدّم النموذج الأمثل للجوانب الخيرة في سلوك الفرد والجماعة ليأتم به النّاس ويسعدوا، ويقدم الصورة الشاملة للجوانب الشريرة ليتجنبها النّاس ويسلموا من آثارها. ويشير القرآن الكريم إلى هذه الرسالة في مواضع عديدة باسم الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر."[3]

وتأتي الأمة بمعنى: منهاج حياة، وما يتضمنه من معتقدات وقيم وممارسات وتقاليد. مثل قوله تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: 22].

---

(1) القرطبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر (671هـ). **الجامع لأحكام القرآن**، بيروت: دار إحياء التراث، ج2، ص127.

(2) الطبري، محمد بن جرير (310هـ). **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1420هـ/ 2000م، ط1، ج17، ص317.

(3) الكيلاني، ماجد عرسان. **أهداف التربية الإسلامية**، دبي: دار القلم، 2005، ط1، ص181.

وقد عدّ الكيلاني أنّ المعنى الاصطلاحي المتكامل للأمة يتضمن عناصر أربعة: "وهي العنصر البشري، والفكري، والاجتماعي، والزمني. فالأمّة مجموعة من النّاس تحمل رسالة حضارية نافعة للإنسانية، وتعيش طبقاً لمبادئ هذه الرسالة. والعنصر الرئيس في مفهوم الأمّة هو عنصر الرسالة؛ أي العطاء الذي تقدّمه جماعة من النّاس إلى بقية مجموعات الإنسانية ليساعد على بقاء النوع البشري ورقيّه. كما أنّه لا يشترط في العنصر البشري -أو المكون الأول للأمة- الروابط الدموية أو الجغرافية ولا الكم العددي. فقد يكون العنصر فرداً واحداً، وقد يكون فئة أو جماعةً أو جيلاً، أو أجيالاً أو الإنسانية كلها، ما دامت تحمل رسالة، ويوحدها فقه شامل لهذه الرسالة، وتطبيقات فاعلة تنتج عنها نظم وتطبيقات حضارية في ميادين الحياة المختلفة تسهم في بقاء النوع البشري ورقيّه."[1]

ومن خلال ما سبق أستطيع القول: إنّ وجود الأمّة الفاعلة لا يتحقق إلا بتفعيل واجب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وقيام الأفراد بأداء واجبهم في حمل رسالة الأمة ونشرها والمحافظة عليها. وهذا ما يعلل اقتران واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالأمة في النصوص الشرعية.

"ولهذا فإنّ الأمّة كيان صناعي يمكن بناؤه وهدمه؛ فهي تخرج إخراجاً للقيام بوظيفة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر. وهذا الإخراج يقتضي منها بذل الجهد والمقدرات لتطوير المؤسسات التربوية والإدارية للقيام بالدّراسة والتخطيط المستمر، لإحكام تطوير الأمة وإخراجها بما تتطلبه وظيفتها حسب حاجات الزمان والمكان. وإلى إخراج هذه المؤسسات كان التوجيه الإلهي، في قوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران:104]."[2]

(1) المرجع السابق، ص183. باختصار.

(2) المرجع السابق، ص184.

فاستمرار الأمّة في الحياة مرهون باستمرار حملها للرسالة وما يتفرع عنها من تطبيقات في مجالات الحياة المختلفة. فإذا ضعفت عن حمل هذه الرسالة أو توقفت فاعليتها أو تقلصت تطبيقاتها انتهى وجود الأمة، وحل محلها أمة أخرى لا علاقة لها بسابقتها، وإن ربطتها بها روابط الدم والأرض واللغة والثقافة. وهذا ما فهمه كبار الصحابة الذين عايشوا بدء الرسالة وتطبيقاتها من قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران:110].

2 – دور الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر في تعميق الانتماء للأمة والجماعة

أ- يعزز انتماء الفرد للأمة ونصرته لها:

إنّ تمسك الفرد بهذه القاعدة وتطبيقها في واقع حياته بحسب ما أوتي من علم، وبأسلوب الحكمة والموعظة الحسنة هو مظهر من مظاهر انتمائه لأمته، وحرصه على المحافظة عليها والنّهوض بها، وعدم اكتفائه بصلاح نفسه أو أسرته، وإنّما يتعداهما إلى التفكير بمستقبل أمته وحمل همّ الإصلاح فيها.

والدّليل على ارتباط هذه القاعدة بالأمة، هو خطاب القرآن الكريم الذي كان ينطلق في كل آية من مبدأ مهمّ وهو الأمة الواحدة المؤمنة، ولذا فإنّ معظم الآيات التي تناولت الحديث عن هذه القاعدة انطلقت من تذكير الفرد بصفة الإيمان الجمعي، فقد جاء الخطاب فيها موجهاً للمسلمين أفرادًا وجماعات؛ أي إنّ المسألة ليست مجرد أمر تعبدي يتوجه به العبد حسب ما يشاء ويختار إلى ربه من خلال تحقيقه، وإنّما هو توجّه أفراد الأمة، وتحملهم المسؤوليات كل بحسب إمكاناته، وموقعه في أسرته ومجتمعه.

وقد ارتبط هذا الواجب بمسألة الولاية، فولاية الفرد ونصرته لأمته وجماعته لا تتحقق دون قيامه بهذا الواجب تجاه مجتمعه وأمته، فهو مظهر من مظاهر

انتمائه للأمّة، وعليه فإنّ فهم الفرد لمسؤوليته تجاه أمته هو المحرك الحقيقي والدّافع الأساس لقيامه بواجب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر.

ب- ينظم العلاقة بين المؤمنين والمؤمنات:

وقد ظهر هذا التنظيم من خلال توضيح القرآن الكريم في سورة التوبة لأصول العلاقة التي تربط المؤمنين والمؤمنات في مجتمعاتهم، فجميعهم إخوة ينصر بعضهم بعضاً، من خلال وقوفهم على الحق وقيامهم بواجب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: 71]. فالآية الكريمة جاءت توضح أسس العلاقة بين المؤمنين والمؤمنات، ومن هذه العلاقة تتشكل بنية المجتمع المسلم، وهو المجتمع الرباني الذي يبنى على أساس المناصرة والولاء والانتماء، ولا يكتمل بناؤه دون القيام بهذه القاعدة العظيمة، حتى ينهض المجتمع المسلم بنفسه وبدينه، ويثبت الأفراد فيه أنّهم أهل للانتماء لهذه الأمة الإسلامية المصْلِحَة.

والآية الكريمة تلفت الأنظار إلى مسألة مهمة، هي مسألة ما يدفع الفرد للقيام بهذا الواجب، الذي لا ينبغي أن ينطلق من رغبته في إرضاء من حوله أو مجاملتهم، أو إظهار علمه، وتفوقه بالتزامه الديني على من حوله، أو تحقيق الانتصار النّفسي على من حوله، وإنّما ينبغي أن يكون دافعُه طلب مرضاة الله تعالى، وحرصه على نصرة أمته بالمحافظة على مكامن قوتها، والتزام أفرادها بأحكام دينهم.

قال تعالى: ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّآئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة:112].

والمتأمل للآية الكريمة يرى بوضوح ربط القرآن الكريم الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر بصفة الإيمان والعبودية، لأنها المحرك الأساسي للمؤمن للقيام بهذه القاعدة. وتخاذل الفرد أو تقصيره في التطبيق دليل واضح على ضعف روح الانتماء للأمة، ومؤشر على ضعف فهمه لأصول دينه ومبادئه.

جـ- يحافظ على وحدة الأمة وقوتها:

ربط الخطاب القرآني الكريم بين وحدة الأمة وقوتها وقيام أفرادها بهذا الواجب، كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران:103]

فالنّص القرآني هنا يأمر بوضوح بالاعتصام بحبل الله، الذي هو عهد الله ودينه. وقد استخدم القرآن الكريم لفظاً في غاية الإيحاء والقوة، فالعصمة فيها المنعة والحماية، وهذا المعنى يتحقق لمن تمسك بدينه، فبتمسكه يمنع نفسه وأمته من الضياع والزلل، ثمّ ذكّر المسلمين بفضل عظيم، يتمثل في تنجيته لهم من جحيم الفرقة والنزاع والعداء، بما أنعم عليهم من نعمة الإسلام والهداية. ولكنّها نعمة تحتاج لمن يحرسُها من نار الفتن والاختلاف، لذا فقد أَتْبَعَ اللهُ سبحانه الآية الكريمة بوسيلة تعدُّ سلاحاً للأمة في المحافظة على نعمة الوحدة التي فيها قوتها، فجاء قوله عز وجل: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران:104-105].

وحتى تحافظ الأمّة على تمسكها بدينها، فإنّه ينبغي أن تكون فيها نواة للخير، تقضي على فتيل الخلاف الذي يحرق كل ما حوله إن ترك دون توجيه وعلاج، فقد حذّر القرآن هنا من عواقب الخلاف الخطيرة التي يمكن أن تهوي بالمسلمين إلى حفر الهلاك والضياع، ولذا ذكّرهم بقوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ [آل عمران:103] وبيّن لهم فضله عز وجل في إنقاذهم من خطر الوقوع فيها عندما أقاموا هذا الواجب وأعطوه حقّه.

د- يحافظ على هُوية الأمة:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو مبدأ إصلاحي تربوي، يتيح لأكبر شريحة في المجتمع الإسلامي أن تعرف ما لا بد من معرفته، وأن تميز الحق عن الباطل، وأن تسعى لنبذ كل ما ليس منها ومن قيمها وأحكام دينها. وبهذا المبدأ -الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- تحافظ الأمة على رؤيتها وتوجهاتها، ذلك أنّ تطبيق الأفراد لهذا "المبدأ - الواجب" يخضع لقواعد واضحة بيَّنها علماء الأمة، وهي قواعد توجّه الفرد نحو الحفاظ على إقامة الدّين، ونزع كل منكر يخالف الدّين ولا يتفق مع هواه. وفي ذلك يقول الأستاذ سيد قطب: "إنّ منهج الله في الأرض ليس مجرد وعظ وإرشاد وبيان، فهذا شطر، أما الشطر الآخر فهو القيام بسلطة الأمر والنهي، على تحقيق المعروف ونفي المنكر من الحياة البشرية، وصيانة تقاليد الجماعة الخيرة من أن يعبث بها كل ذي هوى وكل ذي شهوة وكل ذي مصلحة، وضمانة هذه التقاليد الصالحة من أن يقول فيها كل امرئ برأيه وبتصوره، زاعماً أنّ هذا هو الخير والمعروف والصواب!"[1]

ويضاف إلى هذا تحقق المنفعة المشتركة للفرد والجماعة، فالفرد جزء من الأمّة، وقيامه بهذا الواجب يعود عليه وعلى أمته ومجتمعه بالخير، وهذا ما بيّنه النّبي ﷺ في حديث السفينة، الذي ضرب به مثالاً محسوسًا، يكون أوقع في تصوّر النجاة والهلاك بالأمر والنّهي أخذاً وتركاً؛ فقال ﷺ: "مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا. فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا."[2]

---

(1) قطب، سيد. **في ظلال القرآن**، ط10، بيروت: دار الشروق، 1982م، ج1، ص413.

(2) البخاري، **صحيح البخاري**، مرجع سابق، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة، رقم الحديث2493، ج3، ص139.

هـ- يحفظ الضرورات الخمس:

وهذه الضرورات هي المصالح التي جاءت الشريعة لتحقيقها، وهذه الأمور لا تتحقق في واقع الأمّة إلا بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر. وفي هذا يقول الغزالي: "ومقصود الشرع من الخلق خمسة؛ وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة، ودفعها مصلحة."[1]

وحفظ الضرورات يتم بأمرين: الأول: ما يقيم أركانها ويثبت قواعدها، وذلك بمراعاتها من جانب الوجود. والثاني: ما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها، وذلك بمراعاتها من جانب العدم.

فأصول العبادات راجعة إلى حفظ الدّين من ناحية الوجود، كالإيمان والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد. والعادات راجعة إلى حفظ النّفس والعقل من ناحية الوجود كتناول المأكولات والمشروبات والملبوسات والمسكونات. والمعاملات راجعة إلى حفظ النّسل وحفظ المال من ناحية الوجود (وإلى حفظ النّفس والعقل أيضاً لكن بواسطة العادات)، والجنايات راجعة إلى حفظ الجميع من جانب العدم.

والذي يجمعها من جانب الوجود: الأمر بالمعروف، ومن جانب العدم: النّهي عن المنكر.[2] ولذا فإنّ القرآن الكريم لمّا تحدّث عن التمكين وإقامة الدّين، كان يذكّر المؤمنين بهذا الواجب الذي يعدّ قاعدة وركيزة لبناء الأمة وإقامة مصالحها، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الحج:41].

(1) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (505هـ). **المستصفى من علم الأصول**، تحقيق محمد سليمان الأشقر، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1417هـ/1997، ط1، ج1، ص417.

(2) الشاطبي، ابو إسحق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي (790هـ). **الموافقات في أصول الفقه**، تحقيق: عبد الله دراز، بيروت: دار المعرفة، ج2، ص8-9. وانظر أيضاً:
- السبت، خالد بن عثمان، **الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر أصوله وضوابطه**، لندن: المنتدى الإسلامي، 1415هـ/1995م، ص65.

و- يمكّن للأمّة في الأرض وإقامة الدين:

فمن شروط التمكين والنّصر للأمة أن يقيم المسلمون الصلاة، فيعبدوا الله ويوثقوا صلتهم به، ويتجهوا إليه طائعين خاضعين مستسلمين ثمّ يؤدّوا حق المال، وينتصروا على شح النفس، ويتطهروا من الحرص، ويغلبوا وسوسة الشيطان، ويسدوا خلّة الجماعة، ويكفلوا الضعاف فيها والمحتاجين، ويحققوا لها صفة الجسم الحي، كما قال رسول الله ﷺ : "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى."[1] ومن هذه الشروط كذلك، الدعوة إلى الخير والصلاح، ودفع الناس إليهما، حتى يقاوموا الشر والفساد، ويحققوا بهذا وذاك صفة الأمّة المسلمة التي لا تبقى على منكر، وهي قادرة على تغييره، ولا تقعد عن معروف وهي قادرة على تحقيقه. [2] "فالأمر بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر مع ما يسبقه من وسائل تربوية منها النّصح والإرشاد إحدى الظواهر اللازمة للمجتمع الإسلامي الذي يمكّن له في الأرض، ويبقى له هذا التمكين. فإذا اختلت شروط التمكين لهم في الأرض لم يكن لهم عند الله وعدٌ بأن يبقي لهم هذا التمكين المعان بمعونات غيبية من لدنه، بل يكلهم إلى أنفسهم، وإلى أسبابهم."[3]

ثالثاً: معيقات تطبيق واجب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر

يلحظ المتأمل في واقع مجتمعاتنا قصوراً وغياباً واضحاً بين الأفراد في تطبيق هذه القاعدة الهامة من قواعد الدّين الأساسية، ومردّ هذا القصور والخلل بعض المعيقات والعوامل التي أثّرت في اهتمام الأفراد بتفعيل هذا الواجب في حياتهم.

---

(1) مسلم، **صحيح مسلم**، مرجع سابق، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين، رقم الحديث 2586، ج4، ص1999.

(2) قطب، **في ظلال القرآن الكريم**، مرجع سابق، ج5، ص201.

(3) حبنكة، عبد الرحمن الميداني. **فقه الدّعوة إلى الله وفقه النّصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، دمشق: دار القلم، 1996م، ص90.

والمعيقات التي تمنع من تحقيق قاعدة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر كثيرة، وما ذكري لهذه المعيقات إلا ابتغاء إيجاد الحلول والاقتراحات المناسبة لمحاولة تجاوزها والتصدّي لها، في سبيل قيام الأفراد بهذا الواجب خير قيام. وفيما يأتي أعرض أهم الأسباب المتعلقة بالأفراد، ومن ثمّ بالمجتمعات.

1 – أسباب تتعلق بالأفراد

– الجهل والإهمال: ويتخذ الجهل صوراً متعددة، منها جهل طائفة من أفراد الأمّة بدينهم بعامّة وبشرائع الإسلام وأحكامه. وهؤلاء بمثابة غير الدّاخلين في صراط الإسلام، وهم في أمس الحاجة إلى توجيه الدّعوة لهم والنّصح والإرشاد، ذلك أنّ انتشار الجهل بين المسلمين، وانتشار الانحرافات الفكرية والمفاهيم الباطلة، والبدع والخرافات، ووافدات الغزو الفكري ممّا صدّره أعداء الإسلام إلى شعوب الأمة الإسلامية، أدّى إلى أن يكون كثيرٌ من المسلمين لا يعلم "المعروف" في الدّين، حتى يعمل به، ويحثّ عليه أهله وذويه، ولا يعلم "المنكر" في الدّين، حتى يتجنبه ويحثّ أهله وذويه على تجنبه. ومن صور الجهل الأخرى عدم فهم الأفراد لأصول القيام بهذا الواجب، مما يوقعهم في ممارسات خاطئة تنافي رؤية الإسلام والمقاصد التي سعى لها من وراء تفعيل هذا الواجب.

وفي هذا يقول صلاح الدين مقبول أحمد، وهو من علماء الهند: "...ولعدم معرفة النّاس بأصول هذا الواجب المهم وقواعده وشروطه، وموانعه، وآدابه ومراتبه، قد يكونون في أدائه على طرفي نقيض، ويقصرون في معالجته تقصيراً واضحاً، لتراوحهم بين التشدد الممقوت والتساهل المرفوض."[1]

فالممارسات الخاطئة التي يقوم بها بعض المسلمين بسبب عدم التزامهم بالقواعد المطلوبة للأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وعدم تمييزهم بين ما يصح

(1) عبد الغفار، فؤاد سراج. **الجواب الأبهر لمن سأل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، الكويت: دار ابن الأثير، 1999م، ص 10.

إنكاره وما لا يصح، من العوامل المعيقة للقيام بهذا الواجب بالصورة المطلوبة وتحقيق الأثر المرجو من ذلك في المجتمع، كأن يكون الأمر محل خلاف بين العلماء، وغير متفق على كراهته أو تحريمه، ويلحق بذلك عدم الالتزام بأساليب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول الْإِمَام الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: "مَنْ وَعَظَ أَخَاهُ سِرًّا فَقَدْ نَصَحَهُ وَزَانَهُ، وَمَنْ وَعَظَهُ عَلَانِيَة فَقَدْ فَضَحَهُ وَشَانَهُ."[1]

ووجود الخلل في فهم قاعدة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، ومعرفة متى وكيف تطبق، يؤدي بكثير من الأفراد إلى عدم قيامهم بواجبهم في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، أو وقوعهم في التقصير في هذا الواجب، وفتور همتهم عن القيام به.[2]

وهناك صورة أخرى من صور الجهل لها علاقة بتقصير الأفراد وعدم قيامهم بهذا الواجب، تتمثل بالفهم القاصر لمفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ إذ يعتقد بعض الأفراد أنّ تذكير النّاس بالأخلاق الكريمة هو مقصود الشارع من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا قاموا بذلك، فإنهم قد أدّوا حق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيكتفون بإرشاد النّاس إلى الأعمال الصالحة وإنكار الأعمال القبيحة، فتراهم بعد ذلك لا يهتمون أبداً بالنهوض بأعباء إقامة الدّين، ولا يرون أنّ هذا من واجبهم، وهذا مردُّه إلى قصور واضح في فهم المهمة التي بعثت الأمة للقيام بها.

– ثمّ إنّ غياب الدّراسات التطبيقية النقدية في هذا الموضوع تحديدًا يبقيه في إطاره النّظري، فلا زالت هناك حاجة ماسة لطرح برامج تطبيقية، تقترح فيها آليات مساعدة ومعينة للأفراد على تطبيق هذا الواجب، وتركّز على كيفية

---

(1) النووي، محيي الدِّين يحيى بن شرف بن مري (676هـ). **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ط1، بيروت: الدّار الثقافية العربية، 1929م، ج1، ص131.

(2) عبد الغفار، **الجواب الأبهر لمن سأل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، مرجع سابق، ص19.

إكساب الفرد مهارات تعينه على تحقيق هذا الواجب، بأحسن صورة تعود على الأمة بالخير والنفع.[1]

– كما أنّ اقتصار المناهج التعليمية في الأغلب على الجوانب النّظرية للموضوع، يسهم في تكريس هذه المعيقات. فلو أننا سلّطنا الضوء على مناهج التربية الإسلامية، وما تطرحه من الأساليب فإننا نجد أنّ مناهج وزارة التربية والتعليم في الأردن على سبيل المثال، قد أولت الموضوع اهتماماً نظرياً جيدًا، عالجت فيه جوانب عدّة، ولكن هذا الاهتمام ركّز على الجانب النّظري، دون إكساب المتعلمين مهارات حقيقية يفيدون منها في واقع حياتهم، وفي الوقت نفسه تركت مهمة ربط الموضوع بالحياة على عاتق المعلم، مما كان يحدّ دائماً من فرصة تزويد الأجيال بمهارات وأساليب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر.

– وقد يكون الإهمال لهذا الواجب سبباً من الأسباب التي تمنع تفعيل هذه القاعدة في المجتمعات الإسلامية، وهذا ناجم عن حالة اللامبالاة، أو سيطرة الأنانية على النفس، وفي هذا يقول رئيس لجنة الدعوة والإرشاد بجمعية إحياء التراث الإسلامي الكويتية (فرع الجهراء). عبد العزيز بن صالح الهده: "إنّ إنكار المنكر في عصرنا الحديث واقع بين جهل الجاهلين وإهمال المهملين لهذا الدين، وبين رجل متعصب جاهل ينكر المنكر فيأتي بمنكر هو أعظم منه بمراحل، لفرط جهله بضوابط الإنكار، ورجل قد أهمل هذا الجانب العظيم من هذا الدين، حتى صار ينكر على كل من أنكر ذلك المنكر، إمّا محافظة على سمعته أمام النّاس أو محبة لدنيا، وتزلفاً لسلطان أو غيره ذلك من الأمور التي يهتم بها كل منافق يدعو لنفسه لا لربه..."[2]

---

(1) هناك بعض الدّراسات التي أجريت حول هذا الموضوع ولكنها قليلة، منها دراسة:
– أبو الرب، أحمد عبد اللطيف. مدى إمكانية تطبيق مبدأ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر كأحد الأساليب التربوية في الجامعات الحكومية من وجهة نظر المجتمع المحلي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، كلية التربية، 2003م.
– الذنيبات، وليد عبد القادر. ضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (الحسبة نموذج في التطبيق)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤتة، في مجال الفقه وأصوله، 2005م.

(2) عبد الغفار، **الجواب الأبهر لمن سأل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، مرجع سابق، ص11.

– ومن الأسباب التي تحول دون ممارسة الفرد لهذا الواجب في حياته؛ حالة الاستغراق في مصاعب الحياة ومتطلباتها، وتغلّب الحياة بماديتها على إدراك الإنسان وفهمه لدوره الحقيقي في هذه الحياة وحمله لهمِّ الرسالة؛ الأمر الذي يستنزف منه كل جهد وطاقة، فيمنعه حتى من مجرد ملاحظة ما يدور حوله، عوضاً عن التفكير في التغيير والإصلاح، ومن الأمثلة على ذلك حالة الاستغراق التي يعيشها الأفراد في السعي نحو الرزق، وسيطرة هذا الأمر عليهم واستحواذه على أوقاتهم وطاقاتهم، والاستمرار في التطلع والسعي حتى لو كان على حساب القيام بهذا الواجب، مما يؤثر سلباً على تفكيرهم في حاجات مجتمعاتهم، التي هي في الحقيقة حاجة لهم أيضاً، وكذلك يضعف دورهم في التفكير في إيجاد الحلول للقضايا التي تستجد. فما نراه على الساحة اليوم من اهتمام بقضايا الأمة يكاد يقتصر على شرائح محدودة من أفراد المجتمع، ومنها شريحة العلماء وأصحاب الفتوى، وهذه شريحة تراقب كل ما يحدث، وتقدم النقد اللازم، وتقترح بعض الحلول، ولكن دورها اقتصر على تقديم النّصح والإرشاد لما يطلب منهم، فلا تتصدى لمظاهر الاعوجاج بصورة منظمة مدروسة، وإنما هي بحسب المناسبات والمستجدات.

ومن الشرائح الأخرى شريحة الصحفيين، فهي من الشرائح التي تهتم بقضايا الأمّة أيضاً، ولكنّ هذه الشريحة ينصبُّ اهتمامها على عرض الواقع ونقده، دون اقتراح حلول ذات جدوى يتبنون تطبيقها ويتابعون تنفيذها، فاهتماماتهم ترتكز على إعداد المقالات، وعرض الواقع بآلامه ونقده، وهذا كله في إطار النّظرية لا غير. وهذا لا ينفي وجود جهود شخصية هنا وهناك في متابعة حل بعض القضايا الإنسانية، أو بعض المشكلات الاجتماعية، غير أنه لا توجد منظومة متكاملة للعمل الصحفي في تبني حلول حقيقية ومتابعتها على نحو واسع.

وعليه فإنّ مسألة الإصلاح والتغيير التي تعدّ من أهداف الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، ينبغي أن يتبناها الأفراد أمماً وجماعات، ولا يقتصر تطبيقها

على شرائح معينّة. ومن المناسب التنويه به أنّ السياسات الاقتصادية الحالية في كثير من الدول الإسلامية تتحمل قدراً كبيرا من المسؤولية تجاه ما يعانيه الأفراد من ضغوطات وأعباء مادية أثقلت كاهلهم.

– ومن المعيقات التي تحول دون قيام الفرد بمسؤولياته تجاه الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر تعلق هذا الواجب واصطدامه بشهوات النّاس واتباعهم لأهوائهم، وتغلّب الذاتية والحرية الشخصية على حساب مصلحة الأمّة والجماعة، وفي ذلك يعلق الأستاذ سيد قطب: "والدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر –من ثم– تكليف ليس بالهين ولا باليسير، إذا نظرنا إلى طبيعته، وإلى اصطدامه بشهوات الناس ونزواتهم، ومصالح بعضهم ومنافعهم، وغرور بعضهم وكبريائهم، وفيهم الجبار الغاشم، وفيهم الحاكم المتسلط. وفيهم الهابط الذي يكره الصعود، وفيهم المسترخي الذي يكره الاشتداد، وفيهم المنحل الذي يكره الجد، وفيهم الظالم الذي يكره العدل. وفيهم المنحرف الذي يكره الاستقامة، وفيهم ممن ينكرون المعروف، ويعرفون المنكر. ولا تفلح الأمة، ولا تفلح البشرية، إلا أن يسود الخير، وإلا أن يكون المعروف معروفاً، والمنكر منكراً. وهذا ما يقتضي سلطة للخير وللمعروف تأمر وتنهى وتطاع."[1]

2 – أسباب تتعلق بالمجتمعات الإسلامية

إذا نظرنا إلى الحالة الراهنة في المجتمعات فإننا نجد كثيراً من الأسباب التي تعوق المجتمعات عن أداء واجبها، ومن ذلك:

– ضعف الروابط الأسرية، وعدم ترسيخ قيمة الأسرة وأهمّية المحافظة عليها. ففقدان الفرد إحساسه بالمسؤولية تجاه أسرته النواة، وهي النواة الأولى والممتدة، يؤدي إلى ضعف إحساس الفرد بمسؤوليته تجاه مجتمعه. وشعوره بحاجة مجتمعه له في الإصلاح.

(1) قطب، **في ظلال القرآن**، مرجع سابق ج1، ص413.

فهناك تقصير واقع من الآباء والأمهات في توجيه الأبناء وغرس القيم والأخلاق ومتابعة سلوكات الأبناء وتقويم اعوجاجهم. إضافة إلى ذلك فإنّ ضعف الروابط والعلاقات الاجتماعية، من مثل علاقة الجيران بعضهم ببعض، ووقوع التقصير في أداء حقوق الجار لجاره، له أثر واضح في تقصير الفرد في هذا الواجب.

ومن مظاهر هذا التقصير الاجتماعي: عدم تفقد الأحوال، وعدم شعور المسلم بمسؤوليته تجاه جاره المسلم وأسرته، فشعور المحبة والخوف على مصلحة الجيران وعدم إيذائهم، والحرص على المشاعر، من الأمور التي بتنا نفتقدها في العصر الحالي، وبالمقابل باتت العزلة، والاستقلالية وعدم الاكتراث بأحوال الآخرين من الأمور التي سيطرت على الطابع العام للعلاقات الإنسانية بين الأفراد.

وما هذه المظاهر التي بدأت تتفشى في مجتمعاتنا إلا حصيلة التغريب الثقافي والبعد عن الالتزام بأحكام الدين وإقامة شعائره.

ومن الشواهد في الموضوع أنّ الفرد إذا اعتاد على عدم القيام بمسؤوليته تجاه من حوله من أفراد أسرته وعائلته وجيرانه وأصدقائه، في النّصح والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر؛ فإنّ هذا سيؤثر سلباً على إحساسه بانتمائه لأسرته، التي هي النّواة الأولى للمجتمع، ولمجتمعه بعد ذلك.

وهذا ما يدفعنا للتأمل بأهمية التوجيه النّبوي في حديث النّبي ﷺ: "كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِى أَهْلِهِ وَهْوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِى بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِى مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ -قَالَ وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ- وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِى مَالِ أَبِيهِ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ".[1]

(1) البخاري، **صحيح البخاري**، مرجع سابق، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى، رقم الحديث 893، ج2، ص5.

فإحساس الفرد ومن ثمّ قيامه بمسؤوليته تجاه من حوله من خلال نصحهم وإرشادهم والاهتمام بشؤونهم، يعزز شعوره بالانتماء إليهم وحاجة من حوله له، وهذا أمر ينعكس إيجاباً على شعور الفرد بانتمائه لأمته بعد ذلك.

– ومن الأسباب الأخرى التي تعيق قيام الفرد بهذا الواجب هو الخوف من السلطة، وأذى السلطان، وانتشار النّفاق الاجتماعي، وفي هذا يحذّر النووي من الانجراف وراء هذا الأمر فيكون مانعاً من القيام بهذا الواجب، مبيناً أنّ قيام المسلم بهذا الواجب هو من أعظم صور الجهاد في سبيل الله تعالى. حيث قال: "...فَيَنْبَغِي لِطَالِبِ الْآخِرَة، وَالسَّاعِي فِي تَحْصِيلِ رِضَا اللَّه عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَعْتَنِيَ بِهَذَا الْبَاب، فَإِنَّ نَفْعَهُ عَظِيم لَا سِيَّمَا وَقَدْ ذَهَبَ مُعْظَمُهُ، وَيُخْلِص نِيَّته، وَلَا يُهَادِن مَنْ يُنْكِر عَلَيْهِ لِارْتِفَاعِ مَرْتَبَته؛ فَإِنَّ اللَّه تَعَالَى قَالَ: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾ [الحج:40]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران:101]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت:69]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت: 2–3]، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَجْر عَلَى قَدْر النَّصَب، وَلَا يُتَارِكهُ أَيْضًا لِصَدَاقَتِهِ وَمَوَدَّته وَمُدَاهَنَته وَطَلَب الْوَجَاهَة عِنْده وَدَوَام الْمَنْزِلَة لَدَيْهِ؛ فَإِنَّ صَدَاقَته وَمَوَدَّته تُوجِب لَهُ حُرْمَة وَحَقًّا، وَمَنْ حَقّه أَنْ يَنْصَحهُ وَيَهْدِيه إِلَى مَصَالِح آخِرَته، وَيُنْقِذهُ مِنْ مَضَارِّهَا. وَصَدِيق الْإِنْسَان وَمُحِبُّهُ هُوَ مَنْ سَعَى فِي عِمَارَة آخِرَتِهِ وَإِنْ أَدَّى ذَلِكَ إِلَى نَقْصٍ فِي دُنْيَاهُ."[1]

– ومن الأسباب الأخرى التي تعيق قيام الأفراد بهذا الواجب حالة اليأس من إحداث التغيير، وفقدان الأفراد للثقة بالنفس في القدرة على إحداث التغيير، الأمر الذي يخالف منهج الإسلام في تحميله للفرد مسؤولية الإصلاح والتغيير الذي ورد في حديث المصطفى ﷺ: "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ

(1) النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، مرجع سابق، ج1، ص131. في شرحه وتعليقه على حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه:" من رأى منك منكرا فليغيره بيده...".

فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ."[1]

وحتى لو كان الموقف عابراً، وحدث في طريق عام فهذا لا يمنع المسلم من تقديم النّصح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهي أحد آداب الطريق التي يلتزمها المسلم في حياته، وهذا دليل على قدرته على إحداث التغيير، من خلال ممارسته لهذا الدّور، كما ورد في حديث النّبي ﷺ: "إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ فَقَالُوا مَا لَنَا بُدٌّ إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا. قَالَ: "فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجَالِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا"، قَالُوا:" وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟" قَالَ: غَضُّ الْبَصَرِ وَكَفُّ الْأَذَى وَرَدُّ السَّلَامِ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيٌ عَنْ الْمُنْكَرِ."[2]

وحالة فقدان الثقة ناتج عن حالة الخذلان والضعف الذي يوصف به حال الأمة اليوم. والهزيمة النّفسية التي سيطرت على الأجيال، وحالة الإرباك لدى الأفراد والناشئة عن الاختلافات بين الفرق والجماعات في تطبيق هذه القاعدة في مجتمعاتهم، بين قائل باستخدام العنف والقوة لإزالة المنكرات والأمر بالمعروف، واتجاه يدعو إلى السعي نحو الحكمة وقول التي هي أحسن، والاكتفاء بمرحلة القلب واللسان، وترك التغيير باليد للسلطان.

ووجود مثل هذا الاختلاف أمر ليس بجديد، فقد وقعت مثل هذه الاختلافات في الممارسات بين الأفراد قديماً وحديثاً،[3] ولكن وجودها يتطلب من العلماء

---

(1) مسلم، **صحيح مسلم**، مرجع سابق، كتاب الإيمان، باب كون المنهي عن المنكر من الإيمان وأنّ الإيمان يزيد وينقص وأنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، ج1، ص167، رقم70.

(2) البخاري، **صحيح البخاري**، مرجع سابق، كتاب المظالم، باب أفنية الدور والجلوس فيها، رقم الحديث 2465، ج3، ص132.

(3) ذهب الفقهاء والمتكلمون في تطبيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مذاهب شتى، صنّفها عادل السكري في كتابه إلى ثلاث مدارس أساسية تضم كل منها أبرز من يمثلها من الفقهاء والمتكلمين، بغض النظر عن اختلاف مذاهبهم في الفقه والعقيدة. وهي:

– المدرسة الأولى: المسالمة وتضم أصحاب الحديث، وبعض فقهاء السنة، وفرقة الشيعة الإمامية، ممن ذهبوا إلى أنّ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر إنما يحصل بالقلب، أو باللسان إذا قدر القائم به على ذلك، وينكرون أن يكون باليد فضلاً عن السيف. وذهبوا إلى تحريم استخدام القوة لإزالة السلطان وإن كان ظالماً. وأبرز من يمثل هذه المدرسة الإمام أحمد بن حنبل من =

تكاتف الطاقات لتوجيه الأفراد نحو الصورة الصحيحة في التطبيق تبعاً للظروف والأحوال والمستجدات.

رابعاً: أثر تطبيق قاعدة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر في المجتمعات الإسلامية

إنّ قيام المجتمع الإسلامي وحرصه على تطبيق هذه القاعدة وفق أصولها وشروطها الصحيحة يقيم مجتمعا آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، يعيش فيه الأفراد وهم يشعرون بالرقابة الجماعية عليهم، والحماية لهم، الأمر الذي ينعكس على تصرفاتهم وقراراتهم، لوجود اعتبارات مهمة في حياتهم، وهي رضا المجتمع الذي يعيشون فيه عن سلوكهم وتصرفاتهم، وفقاً لشرع الله تعالى، وهذا ينمي الرقابة المجتمعية بالإضافة لوجود الرقابة الذاتية للمسلم على سلوكه وتصرفاته، فيستشعره الفرد؛ ويجعله حريصاً على السير وفق فلسفة ومبادئ

= فقهاء السنة حيث رفض الثورة طريقاً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأوجب طاعة الأئمة والنصح لهم رغم ظلمهم وبغيهم.على الرغم مما تعرض له من التعذيب والتنكيل والضرب.

- مدرسة المقاتلة: وتضم طوائف من الفقهاء، أبرزهم الإمام أبو حنيفة، وطوائف من المتكلمين، أبرزهم الخوارج والمعتزلة، ذهبوا إلى أنّ سلّ السيوف في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر واجب، إذا لم يمكن دفع المنكر وإقامة الحق إلا بذلك. وقد كان أبو حنيفة يميل إلى آل البيت ويؤيد ثوراتهم ضد ظلم بني أمية وبغي بني العباس. ومن هذه المدرسة الخوارج الذين أعلنوا: "أنّ الله أخذ عهودنا ومواثيقنا على الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر." وأجمعوا على وجوب الثورة والخروج المسلح لإزالة أئمة الجور، ومنعهم من أن يكونوا أئمة بأي شيء قدروا عليه، بالسيف أو بغير السيف".
- المدرسة الثالثة: هي مدرسة المهادنة وأبرز من يمثل هذه المدرسة الحسن البصري من أئمة أهل السنة، وفرقة الزيدية الشيعة، وكانوا يميلون إلى مهادنة أئمة المنكر والبغي، ويكتفون بإنكار المنكر بالقلب أو باللسان، إلى أن يتمكنوا منهم ويقدروا عليهم، وحينئذ ترتفع الهدنة، وتقوم الثورة. انظر:
- السكري، عادل. **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الأصوليين**، القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، 1993م، ص119-130.

مجتمعه المسلم، مع التأكيد على أمر مهم وهو أن ذلك لا يجعل سلوك الأفراد مثالياً؛ ولكن شعوره برقابة مجتمعه يشعره بأهمية هذا المجتمع بالنسبة إليه، فيغدو يحسب له حساباً إذا زلّ أو قصّر في أمر ما.

قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [المائدة:2]. فالآية الكريمة توجّه الأمة إلى حل لمشكلاتها، وتفعيل الرقابة فيها من خلال التعاون الجماعي على الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وحمل راية الإصلاح الجمعي، مما يهون الأمر على الآمر والمأمور. أمّا الآمر فإنّه ينشط ويتفاعل مع حركة الضغط المجتمعي نحو التغيير، ولا يشعر بأي حرج عند التطبيق، وأمّا المأمور فإنّ يذعن ويسعى للانسجام ولو ظاهراً بما يفرضه عليه مجتمعه من أخلاقيات وقوانين، ومن أبسطها أنّ الفرد يستحيي من المجاهرة بالمعاصي خوفاً مما يمكن أن يواجهه به مجتمعه من استنكار. ولعل مثل هذا النّموذج على بساطته، بتنا نفتقده كثيراً في عصرنا الحالي، فقلّة من النّاس أصبحت تكترث بذوق المجتمع وعاداته وتقاليده، والنقيض هو الحاصل؛ إذ إنّ الفرد غدا يتجرأ على المجاهرة بالمعصية بسبب استكانة المجتمع وعدم إظهاره معالم هويته وأخلاقه. وهذه صورة تنبىء بانقلاب الموازين. وفي هذا يعلّق حبنّكة قائلاً: "ولكنّ المجتمع الذي يكون أفراده بعضهم على بعض رقباء، رجالاً ونساءً، يكون له ضغط اجتماعي يمنع الأفراد من الانحراف العلني، ويكون له قوة انتظام تسري في الأفراد، فتحبب إلى نفوسهم الانسجام مع حركته وعاداته وتقاليده، وتكره إليها الشذوذ والخروج عن نظام مسيرته المشهودة للعموم، في حركته وعاداته وتقاليده ومحابه ومكارهه"[1].

وعلى صعيد آخر فإنّ هناك شعورًا بالامتنان والاطمئنان إذا عاش الفرد في ظل مجتمع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وشعر بأنّ مجتمعه حريص على سلوك أفراد أسرته، لأنه مجتمع متماسك يشعر فيه المسلم بأنّه فرد من أفراد هذا المجتمع، وهذا يتفق مع حديث النّبي، ﷺ: "مثل المؤمنين في توادهم

(1) حبنكة، **فقه الدّعوة إلى الله**، مرجع سابق، ص86-85 باختصار.

وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى".[1] حتى لو ظهر في بداية الأمر نفور أو كره أو استثقال في تقبل النّصح والتوجيه، إلّا أن هذه القاعدة إن طبقت بالصورة الصحيحة فإنّها تعزز لدى المخاطبين إحساسهم بأنهم جزء من هذا المجتمع وكيانه، وصلاح حالهم هدف ومقصد لأمتهم منبعه حب الخير لهم، على اعتبار أنّهم لبنات يتشكل منها هذا المجتمع، فالمسلم لا يعيش بمنأى عن مجتمعه وحيداً بمفرده لا يحمل همّه أحد، ولا يقوّم اعوجاجه أحد، وإنّما هو جزء لا ينفك عن مجتمعه، وهذا ما أثبته النّبي صلّى الله عليه وسلّم في حديثه:"المؤمن للمؤمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا".[2]

فالحديث النّبوي الشريف يريد من المؤمنين أن يكونوا قوة واحدة على درء الشر عنهم، فالبنيان إنما كان بنيانًا باجتماع أجزائه وارتباطها ببعضها، وهذا الارتباط هو مصدر قوّة الأمّة وشعور الأفراد بانتمائهم لمجتمعهم وأمّتهم، لإدراكهم أنّهم جزء مهم في هذا البنيان.[3]

وفي إقامة هذا الواجب إقامة للملّة والشريعة وحفظ للعقيدة والدّين، لتكون كلمة الله هي العليا، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:40]. وقال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر:1-3].

ومن الآثار الملموسة لتطبيق هذه القاعدة، توفير حماية للأمة من أي معتدٍ عليها، فجهاد الكفار وأهل الكتاب باب من أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن

---

(1) مسلم، **صحيح مسلم**، مرجع سابق، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم الحديث2586، ج4، ص1999.

(2) البخاري، محمد بن إسماعيل. **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً، ج8، ص12، حديث رقم 6026.

(3) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (1250هـ). **نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار**، تعليق: محمد منير الدّمشقي، القاهرة: المطبعة المنيرية، ج1، ص331.

المنكر، وقتال المرتدين والممتنعين عن إقامة أي من شرائع الدّين، وباب من أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورد الفاسقين عن فسقهم وزجرهم عن معاصيهم وإزاحتهم كذلك باب من أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.[1]

"وبمقابل هذا الاهتمام فإننا إذا أهملنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، شعر النّاس بالخواء الفكري والروحي، وبدأوا يبحثون عما يسد جوعتهم، ويملأ نفوسهم وقلوبهم، واتجهوا إلى المبادئ الأرضية والأفكار المختلفة، وهجمت عليهم الانحرافات بأنواعها وألوانها، ومن ثمّ يتلقفهم شياطين الجن والإنس على مختلف رتبهم وتخصصاتهم من مشككين ومشرعين. ومن ثمَّ تظهر الفترة وتستحكم الغربة، ويصبح المعروف منكرًا، والمنكر معروفاً."[2]

خاتمة

إن وجود الأمّة الفاعلة لا يتحقق إلا بتفعيل واجب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وقيام الأفراد بأداء واجبهم في حمل رسالة الأمة ونشرها والمحافظة عليها، فهذه القاعدة سمة من سمات الأمة الإسلامية، أكدّها القرآن الكريم، والسنة النبوية، والتاريخ الإسلامي.

ويعدُّ الجهل والإهمال، والإغراق في مصاعب الحياة ومتطلباتها، من المعيقات التي تمنع تطبيق هذه القاعدة بصورتها الفاعلة، كما أنّ ضعف الروابط الأسرية، والخوف من السلطة وأذاها، وفقدان الفرد ثقته بنفسه وإيمانه بقدرته على إحداث التغيير، ووجود التفاوت والاختلاف في كيفية تطبيق هذه القواعد، مع غياب دور المؤسسات والهيئات في إقامة وتبني تفعيل هذا الواجب، من أهم الأسباب والمعيقات التي تحول بين الأفراد وقيامهم بواجبهم في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر.

---

(1) عبد المطلب، محمود محمد كمال. **أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، مكة المكرمة: من إصدارات رابطة العالم الإسلامي، 1411هـ/1991م، العدد 110، ص15.

(2) السبت. **الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر أصوله وضوابطه**، مرجع سابق، ص79.

إنّ قيام الأفراد بدورهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعد مظهراً من مظاهر ولائهم وانتمائهم لأمتهم ونصرتهم لها. ومن خلاله تحافظ الأمّة على هويتها وتميزها بين الأمم، وتحفظ به مكتسباتها وإنجازاتها من الضياع.

ويعد قيام الأفراد بواجبهم في هذه القاعدة بمثابة إيجاد مصدر للرقابة والحماية للأمّة من شرور الفتنة والانقسامات، فالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر واجب يدفع العلماء والمسلمين إلى إسداء النّصح والإرشاد والتوجيه اللازم عند ظهور أي اعوجاج في الأمّة، مما يؤدي لحماية الأمة من أن يتخللها الفساد والوهن.

والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر وسيلة تنمي روح الانتماء للأمة والجماعة، إذ التزم الأفراد بهذا المنهج، وعرفوا شروطه وأقسامه، حتى لا يخرج الأمر بالمعروف عن حدود المعروف، والنّهي عن المنكر بمنكر أشد وفساد أكبر.

إنّ عدم وعي الأفراد بأهمية القيام بهذا الواجب، وجهل بعضهم الآخر بأصول وقواعد تطبيق هذا الواجب من الأسباب الداعية إلى غياب التفعيل، أو ظهور التقصير، أو القصور في التطبيق، وهذا أمر يدعو العلماء والمفكرين إلى ضرورة تبني وتصميم برامج تساعد على رفع الوعي والفهم لكيفية تطبيق هذا الواجب، من خلال تبني برامج ومشاريع وحملات تسهم في تفادي معيقات التطبيق، وتساعد على تحفيز الفرد على القيام بواجبه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإصلاح مجتمعه، وحمل همّ التغيير والتحسين.

إن مثل هذه البرامج سوف تترك أثرًا واضحاً على الأفراد يرتقي بهم ويزيد من تمسكهم بدينهم، واعتزازهم بهويتهم، ويعين كل فرد على الخروج من دائرة الأنا إلى دائرة الجماعة فلا يقتصر همّه وتفكيره بدنياه على نفسه فقط، بقدر ما يوجه جزءاً من اهتمامه إلى أمته وما يدور في مجتمعه، مما يحفزه للتفكير الفاعل بكيفية إحداث التغيير الذي حمّله النّبي ﷺ لكل من رأى منكراً، لأنّ كل مسلم راع في المجتمع، والكل مسؤول عن رعيته.